جـــان ســـالمـــه

مع جان سالمه بات للرواية عندنا فضاء جديد وشخصيات جديدة، عبر بها كل ما قد يعيق حق الإنسان في الاعتقاد والتعبير، بل أية أذية جسدية أو نفسية أو روحية، وسوى ذلك مما تفاقم في حياتنا على إيقاع التغيّرات العالمية. إلاّ أنه أبقى على الوجدان التقليدي وما امتاز به شرقنا العزيز من نقاء وبهاء وصفاء ورواء، فأخذ أشخاصه عموماً بحرمة العواطف وحرصوا على عهودهم ومواثيقهم حرصهم على أفضل وأنبل ما يملكون، فجاءت مشاعرهم رقيقة تلمس فيها حيناً هيام ابن الملوح، وحيناً آخر وله ابن أبي ربيعة، وتشعر وأنت ترتشفها كأنك في فراديس الوجد المصفى تنهل من كوثر الحسن، وترتشف من ينابيع الجمال وتثمل بخمرة علوية تنقلك على أجنحة من زهر ونور، إلى ربيع بل إلى عوالم سحرية تموج بأسراب الحور وتعبق بالعنبر والبخور.

إنه شاهد على عصره، متطلع إلى أفق وطني وإنساني يضجّ بالإمكانات والعناصر المستحدثة، رغم عفوية نصّه السهل الممتنع. وحيث انفتحت في أدبنا العربي المرتهن عموماً صفحات كهذه، لن يطويها من بعد أي رادع مهما استفحل أو استشرس. شهادته عبر نفثاته، من غير لهاث ولا انسلاب بما يفور على سطحه بل بالحفر فيه. للمرأة عنده مكانتها الأولى، كما يحاول في انتقاده المجتمع، أن يضفي على العبث واللامعنى معنى ما محدداً.

يحترم كاتبنا قلمه احترامه نفسه، وهو أمر أساس في كل عمل إبداعي ذي جدوى، فضلاً عن الموهبة والمراس. وعنده كما عندنا، أنّ القيم البشرية تخلص معاً أو لا تخلص، بعيداً من مختلف النزعات الطبيعية والأنانية الكامنة في أشخاصه.

ستتجلى مجتمعاتنا ولو بعد حين، مدينة بنهضتها ومدنيتها، له ولأمثاله القلائل الذين حملوا مشاعل الأدب والعلم والفن، في حقبات عجّت بالخرافات وضجّت بالمنكرات وناءت بأعباء المذلة والارتهان والإرهاق. ذلك أن من شأن أدبه أن يفتح عيون الحاملين المستسلمين للهوان على آفاق الحرية، ويعلمهم كيف يجب أن يثبتوا وجودهم ويطالبوا بحقوقهم ويرتفعوا بذواتهم إلى المستوى اللائق بهم كبشر، لهم حس وإدراك وكرامة. ولا أظن أن أحدا من الناس يستطيع أن ينكر تأثير الأدب والأدباء في ثورات العالم وفي رفع المجتمعات من حضيض العبودية إلى أوج المنعة والتقدم. ولا ريب في أن جان سالمه، عبر روايته هذه وما سبقها وما سيليها بإذنه تعالى، يساهم أيما مساهمة في إيقاظ الهمم النائمة في مجتمعه وهز المشاعر الساكنة المتأججة موسمياً، وبث روح الحمية في القلوب والخواطر المستكينة، بل إنه عبر روايته ونفثات له أخرى وافرة، قد شارك في بعث حركة وطنية وثقافية رغم تفنّن بعضهم في خنق صوت الأكثرية الصامتة المطالبة في عمق أعماقها بالعدالة والمساواة. أحب الأدب وأبدع فيه ما استطاع، وصادق الأدباء وكرّم بعض الشعراء والكتّاب.

لقد تجليت، على مر الزمن، جوهرة في تاج النبوغ، وتاجا في جبين الأدب والرواية، وسيفا ذا حدّين في كف الجرأة. وإنك لتنشر في كتابتك الوافرة عبق الإخلاص المجسم، وعبيرَ الفلسفة المبسطة، وأريج العاطفة الإنسانية على حقيقتها بعيداً من التكلف والمؤثرات الجوفاء الرعناء. إنك تسقي أبناء الحياة شراباً بسيطاً إنما طهور محي، داعياً إلى الانضمام تحت لواء التسامح والإخاء والسير في طريق الوئام، وصولاً إلى ذروة السلام المنشود الذي هو داخلي بامتياز .. فالشكر لك.

الدكتور جهاد نعمان

البيّنات ٢٠٠٨/٢/٧